

العامية والفصحى جنباً إلى جنب في تدريس اللغة العربية

مقابلة مع الدكتور عبد الله الشكري

مقابلة مع عبد الله الشكري، خبير في تدريس اللغات. سيشترك عبد الله كمتحدث في المدرسة الخريفية لتدريس اللغة العربية. ستعقد المدرسة الخريفية من 19 إلى 22 أكتوبر 2026.

ما هي العقبات اللغوية التي تواجهها اللغة العامية والتي قد تشكل أيضاً عائقاً أمام تدريس اللغة العربية الفصحى؟

أود أن أبدأ بالقول إن اللغة العربية العامية في حد ذاتها ليست المشكلة. الصعوبة الحقيقية تكمن في الفجوة بين اللغة التي يكتسبها الأطفال بشكل طبيعي في المنزل واللغة التي يواجهونها فجأة في المدرسة. يصل الطفل المغربي إلى الفصل وهو قادر بالفعل على التحدث والشرح والتفاوض ورواية القصص وطرح الأسئلة وفهم العالم بالدارجة. ومع ذلك، تبدأ عملية التعلم الرسمية باللغة العربية الفصحى. وإذا تجاهلت المدرسة ما يعرفه الطفل بالفعل، فإننا نخلق فجوة لا داعي لها. قد يفهم الطفل فكرة ما تماماً باللهجة المحلية، لكنه يفشل في التعرف على الصيغة المقابلة لها في اللغة العربية الفصحى، وهذا يمكن أن يؤثر على ثقته بنفسه، وفهمه، وطلاقة لغته، ومشاركته.

هناك أيضاً تحديات لغوية حقيقية: الاختلافات في النطق، والمفردات، وعلم الصرف، وتركيب الجمل، والطريقة التي تُستخدم بها الكلمات في الكلام. وعندما تُكتب اللغة العربية العامية، تظهر صعوبة أخرى: فاللغة العربية المغربية لا تمتلك قواعد إملائية موحدة، لذا قد تُكتب الكلمة نفسها بطريقة صوتية، أو في صيغة أقرب إلى اللغة العربية الفصحى، أو بالحروف العربية، أو بالحروف اللاتينية، أو بالحروف العربية اللاتينية. وبالنسبة للقراء المبتدئين، قد يؤدي هذا التنوع المفرط إلى صعوبة التعرف على الكلمات وزيادة العبء المعرفي.

لكن هذا بالضبط هو المكان الذي أرى فيه فرصة. لا ينبغي التعامل مع الدارجة على أنها شيء يجب التخلص منه؛ بل يمكن استخدامها كجسر. في نهج «اقرأ»، نبدأ بالمعنى في اللغة التي يفهمها الطفل بالفعل، ثم ننقل تدريجياً نحو الاستماع إلى اللغة العربية الفصحى، وتطوير المفردات، وقواعد اللغة الشفوية، وتكوين الجمل، والقراءة، والكتابة. لذا فإن السؤال التربوي ليس ما إذا كانت اللغة العربية العامية تشكل عقبة. بل السؤال هو ما إذا كنا نعرف كيف نحول ما يمتلكه الطفل بالفعل إلى مورد لتعلم اللغة العربية الفصحى.

لقد ذكرت في بحثك حول الحرف «خ» أن الدارجة واللغة العربية الفصحى تشتركان في أكثر من 70% من أوجه التشابه. هل ينطبق هذا فقط على اللغة العربية الفصحى والدارجة؟ هل يمكن العثور على أنماط مماثلة في اللهجات العربية الأخرى؟

يجب فهم رقم الـ 70% بدقة. فهو لا يعني أن اللغة العربية المغربية واللغة العربية الفصحى متطابقتان بنسبة 70% بشكل عام. في تلك الدراسة بالذات، قارنت الجذور المعجمية التي تبدأ بالحرف [خ] في قواميس اللغة العربية المغربية بتلك الموجودة في قاموس هانز فير للغة العربية الفصحى الحديثة. من بين 178 جذراً في اللغة العربية الفصحى الحديثة تبدأ بالحرف [خ]، ورد 126 جذراً منها أيضاً في اللغة العربية المغربية. وهذا يعطينا تداخلاً يزيد قليلاً عن 70% ضمن تلك العينة المعجمية المحددة. وما يهم أكثر من الرقم نفسه هو ما يكشفه: فالعربية المغربية والعربية الفصحى ليستا نظامين منفصلين. بل تنتمي إلى سلسلة لغوية عربية أوسع. فالعديد من الجذور المعجمية والأنماط الصرفية والتركيب النحوية تظل مترابطة، حتى عندما يتغير النطق. لذلك، غالباً ما لا يتعلم الأطفال لغة جديدة تماماً؛ بل يتعلمون التعرف على أوجه التوافق بين الصيغ التي يعرفونها بالفعل ومقابلاتها في اللغة العربية الفصحى.

أتوقع وجود أنواع مماثلة من التداخل في اللهجات المصرية، والشرق أوسطية، والخليجية، والعراقية، والتونسية، والجزائرية، وغيرها من اللهجات العربية، على الرغم من أن درجة ونوع التشابه سيختلفان بالتأكيد. لا أزع أن كل لهجة تشترك في 70% بالضبط؛ فذلك يتطلب دراسات مقارنة منهجية باستخدام نفس المنهجية. لكن من الناحية التربوية، فإن المبدأ واعد جداً في جميع أنحاء العالم العربي: فبدلاً من التعامل مع اللهجة واللغة العربية الفصحى كلغتين متنافستين، يمكننا تحديد القواسم المشتركة بينهما واستخدامهما كمسار نحو إتقان أقوى للغة العربية.

أخبرنا عن المسابقة الدولية للإبداع في الكتابة العربية في مجال القصص القصيرة للأطفال. لماذا تُعتبر مسابقة دولية، وهل ما زالت مستمرة؟

انطلقت المسابقة من إيمان بسيط للغاية: إذا أردنا أن يصبح الأطفال قراء، فيجب علينا أن نفعل أكثر من مجرد تعليمهم كيفية فك رموز الكلمات. علينا أيضاً أن نقدم لهم قصصاً يرغبون حقاً في قراءتها. منذ البداية، حملت المسابقة شعار «من أجل جيل قارئ ناشئ». وتهدف إلى تشجيع الكتابة الإبداعية باللغة العربية مع بناء رصيد أدبي أكثر ثراءً وعمقاً للقراء الصغار. نريد أن يلتقي الأطفال بقصص تخاطب خيالهم، وعواطفهم، وثقافتهم، والعالم الذي ينشؤون فيه.

نسميها «دولية» لأن اللغة العربية تنتمي إلى فضاء إنساني وثقافي أوسع بكثير من حدود دولة واحدة. وقد جذبت المسابقة مشاركين من جميع أنحاء منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وكذلك من الولايات المتحدة وفرنسا وإسبانيا. وجاء الفائزون من المغرب ومصر ولبنان. بالنسبة لي، هذا هو أحد أجمل جوانب المشروع: يمكن لطفل في المغرب أن يقرأ قصة كتبها شخص في مصر أو لبنان ويكتشف تجربة مختلفة للعالم العربي، بينما لا يزال يشعر بأنه في وطنه بفضل اللغة نفسها.

كما أن للمسابقة بعداً إنسانياً وتربوياً قوياً. نحن نروج للقيم العربية والإسلامية، ولكننا نروج أيضاً للقيم العالمية مثل الاحترام، والرحمة، والصداقة، والشجاعة، والمثابرة، والمسؤولية، والتعلم من الأخطاء، والانتماء. وقد نُظمت الدورات الثالثة والرابعة والخامسة حول موضوع «التنمية المستدامة كمجال للإبداع الأدبي». وتستجيب الدورة السادسة للرسالة الملكية التي دعت إلى الاحتفال بمرور خمسة عشر قرناً على مولد النبي محمد، صلى الله عليه وسلم. ونعم، المسابقة مستمرة. فقد أصبحت أكثر من مجرد مسابقة؛ إنها مساحة يلتقي فيها الكتاب والمعلمون والباحثون والقراء حول هدف واحد: المساعدة في تربية جيل يقرأ بمتعة، ويفكر بثقة، ويرى اللغة العربية كلغة حية للإبداع والمعرفة.

إذا كان بإمكانك تحديد مهارة مدرس اللغة العربية في إطار الكفاءات، فماذا ستكون؟

بالنسبة لي، فإن الكفاءة التي تميز مدرس اللغة العربية ليست مجرد إتقان القواعد أو المفردات. إنها القدرة على التعرف على الرصيد اللغوي والمعرفي الذي يمتلكه المتعلمون بالفعل، وتقديره، والبناء عليه. لا يلتحق الأطفال بالمدرسة كصفحات بيضاء. بل يأتون مزودين بمفردات، وأنماط فعلية، وضمانات، ومهارات استماع، ووعي صوتي وصرفي، ومعرفة ثقافية، والقدرة على التفكير المنطقي، والتفاوض على المعنى، ورواية القصص، وتبرير الخيارات، والتعبير عن الآراء. والمعلم القوي لا ينظر إلى كل هذا على أنه ضجيج في الخلفية، بل كراس مال تعليمي.

وبالتالي، فإن القضية التعليمية هي قضية استثمار وعائد. إذا تجاهلنا ما يعرفه الأطفال بالفعل، فستكون الخسارة جسيمة: تُهدر المفردات المألوفة، ويصبح التواصل الشفوي مقيداً، وتتفصل المعرفة الصوتية والصرفية عن القراءة والكتابة، وقد يبدو الأطفال الواثقون من أنفسهم فجأة مترددين أو ضعفاء لمجرد أن لغة الفصل الدراسي قد تغيرت. ولكن عندما نستثمر في المعرفة المسبقة، يكون العائد فوراً: يفهم المتعلمون أكثر، ويشاركون أكثر، ويخاطرون بشكل أكبر، ويطرحون المزيد من الأسئلة، ويصبحون تدريجياً أكثر راحة في التعبير عن أنفسهم باللغة العربية الفصحى.

لذلك، فإن أفضل معلم لغة عربية هو من يبني الجسور، ويقوم بالتشخيص، ويسهل التقدم. فهذا المعلم يفهم كلاً من اللغة العربية الفصحى واللهجة العامية، ويعرف نقاط التداخل والاختلاف بينهما، ويشخص احتياجات كل متعلم، ويصمم مساراً تدريجياً من الفهم الشفوي إلى المفردات، والقواعد، والقراءة، والكتابة. باختصار: المعلم الفعال للغة العربية يعرف كيف يحول ما يمتلكه متعلمو اللغة العربية بالفعل إلى لغة عربية أقوى. وعندما ننجح في ذلك، فإن المردود لا يقتصر على تحسين مستوى القراءة والكتابة فحسب؛ بل يمتد إلى متعلم أكثر ثقة، وفصل دراسي أكثر تفاعلاً، وطفل يبدأ في الإيمان بأنه «قادر على فعل ذلك».

وأخيراً، يصبح تعليم اللغة العربية تحويلياً عندما نتوقف عن البدء بما ينقص المتعلمين ونبدأ في البناء على ما يعرفونه بالفعل.

عبد الله الشكيري

عبد الله أستاذ متفرغ في جامعة الأخوين في إفران، متخصص في اللغة العربية وعلم اللغة ومحو الأمية والتعليم. وهو حاصل على درجتي الدكتوراه من جامعة باريس 8 وجامعة محمد الخامس.